على ذلك كثرةُ من يموت من المعارف، فأردتُ إثباتهم لعلي بمطالعتهم أجدُ قلباً على الآخرة يُساعِف.

ولقد بلغني أن بعضَ الوعَّاظ ببلاد المغرب وَعَظَ فقال كلاماً معناه: أيها النَّاس، كيف حالكم لو أن السلطان نادى فيكم أنه عازم [على][1] أن يقتل منكم كل يوم جماعة، أما كانت الأرض عليكم تضيق؟ وحَسِبَ كل أحد أنه في غدٍ من ذلك الفريق؟ فكيف لا تقلقون[2]؟ وهذا الموت يأخذ منكم كل يوم ما تشاهدون، وأنتم في غفلةٍ، أفلا تعقلون؟ قال: فأكثَرَ النَّاسُ من البكاء، ثم ما أغنى ذلك شيًا، فيالها موعظة لو صادفتْ قلباً حَيًا.

فاستخرتُ الله تعالى، وابتدأتُ من سنة تسعين التي تتلو سنة وفاة صلاح الدين، فذكرتُ فيها وفيما بعدها ما فاتني ذكره في «كتاب الروضتين» سنة بعد سنة.

ونسألُ اللهَ الكريمَ بفَضْلِهِ مَحْوَ السَّيِّئة وتضعيفَ الحَسَنَة، وسمَّيْتُه «المُذَيَّل[3] على الرَّوْضتين» من أول سنة تسعين على ترتيبِ السنين.

[سنة تسعين وخمس مئة][4]

٦ **ففيها** استعادت الفرنج ـ خذلهم الله ـ حِصْن جُبيل بمعاملة من كردي فقيه كان فيه في مستهل صفر.

وفيها وصل العزيز بن صلاح الدين من مِصْر لأخذ الشَّام[5]، ووصل العادل

---

(١) ما بين حاصرتين من (ب) و(س).

(٢) في (س): لا تعقلون.

(٣) انفردت نسخة (س) وهي نسخة سقيمة بتسميته «الذيل على الروضتين».

(٤) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.

(٥) في (س) زيادة: وأقام يحاصرها عشرة أشهر، وقطع الماء عنها.

قلت: وهي زيادة لا تصح، إذ لم يستمر حصارها إلا نحو شهرين، انظر «كتاب الروضتين» ٤/ ٤٢٢، و«مفرج الكروب» ٣/ ٢٩ ـ ٣٠.

من الشَّرْق، واجتاز بحلب، وصَعِدَ إلى قلعتها، وبات بها، واستخلص دُلْدُرُم[١] وبني عمه كبراء الياروقية من اعتقال الظَّاهر صاحبها. ثم سار إلى دمشق مُعيناً لأخيه الأفضل، فأصلح بينهما على أن للعزيز من بَيْسان إلى أُسوان. وقدم الظَّاهر من حلب أيضاً، ثم عاد كلٌّ إلى بلاده، وتزوج العزيز بابنة عمه العادل[٢].

وفيها كانت محنة الشيخ أبي الفَرَج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي الواعظ، وُشي به إلى الخليفة النَّاصر أحمد بن المستضيء بأمرِ[٣] اختلفوا فيه، وكان الزمان صيفاً. فبينا هو جالسٌ في السِّرْداب يكتب، جاءه[٤] من أسمعه غليظَ الكلام، وختم على كتبه وداره، وشتَّت عِيالَهُ. فلما كان أول الليل حملوه في سفينة، وحَدَرُوه إلى واسط، فأقام خمسة أيام ما أكل طعاماً إلى واسط ـ وكان قد قارب ثمانين سنة ـ فأقام في دارٍ بدرب الدِّيوان، وعلى بابه بوَّاب، فكان يَخْدُمُ نَفْسَه؛ يغسل ثوبه، ويطبخ ويستقي الماء من البئر، ولم يدخلِ الحمامَ مُدَّة خمس سنين مُقامَهُ بواسط. ولما عاد إلى بغداد كان يقول: قرأتُ بواسط مُدَّة مُقَامي كل يوم ختمة ما قرأت فيها سورة يوسف من حُزْني على ولدي يوسف. وكان يكتب إلى بغداد أشعاراً كثيرة[٥].

---

(١) في الأصل و(ع) و(ك) و(س) ولديه، وهو تحريف، والمثبت من (ب)، وانظر «كتاب الروضتين» ٤/ ٤٢٥.

(٢) في (س) زيادة: وأخذ الملك الأفضل من الفرنج في هذه السنة جبلة واللاذقية.
قلت: وهي زيادة لا تصح كذلك، إذ إن جبلة واللاذقية كانتا من فتوح صلاح الدين سنة (٥٨٤هـ)، انظر «كتاب الروضتين» ٤/ ١٧ ـ ٢٥.

(٣) في الأصل و(ع): بأمر الله، وهو سبق قلم، والمثبت من (ب) و(س).

(٤) هو الركن عبد السلام بن عبد الوهاب بن عبد القادر، وسيأتي ذكره في حوادث سنة (٦٠٣ هـ).

(٥) «مرآة الزمان» (حوادث سنة ٥٩٠ هـ).

وفيها توفي القزويني الواعظ، واسمه أحمد بن إسماعيل بن يوسف، وكنيته أبو الخير الشَّافعي[١].

تفقَّه بنيسابور على محمد بن يحيى صاحب الغزَّالي، وسَمِعَ بها وبغيرها الحديث من أبي عبد الله الفُراوي، وأبي القاسم الشَّحَّامي، وأبي محمد البيهقي وغيرهم. وكان عالماً بالتفسير والفقه، متعبِّداً، وكان يَخْتِمُ القرآن كلَّ يوم مرَّة.

ولد بقزوين سنة اثنتي عشرة وخمس مئة، وقدم بغداد حاجّاً سنة خمس وخمسين وخمس مئة فوعظ بالنظامية، ومال إلى مذهب الأشعري رحمه الله، وجلس يوم عاشوراء، فقيل له: العن يزيدَ بنَ معاوية. فقال: ذاك إمام مجتهد. فجاءه الآجُرُّ، فكاد يُقتل، فسقط عن المِنْبر، وأُدخل بيتاً في النظامية، ثم أخرجوه إلى قَزْوين[٢]، فمات بها في المحرَّم[٣].

وفيها قُتِلَ السُّلْطان طُغْريل شاه بن أرسلان شاه بن طُغريل شاه بن محمد بن مَلِكْشاه[٤].

---

(١) له ترجمة في الأنساب للسمعاني ٨/ ١٧٨ ـ ١٧٩، رحلة ابن جبير: ٢٦٩ ـ ٢٧١، اللباب لابن الأثير: ٢/ ٢٦٩، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، التكملة للمنذري: ١/ ٢٠٠ ـ ٢٠٢، مشيخة النعال: ١١٦ ـ ١١٨، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ١٩٠ ـ ١٩٣، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧١ ـ ٢٧٢، المختصر المحتاج إليه: ١/ ١٧٤ ـ ١٧٦ (وفيه وفاته سنة ٥٨٩ هـ، نقلاً عن ابن النجار)، والوافي بالوفيات: ٦/ ٢٥٣ ـ ٢٥٥ (وفيه وفاته سنة ٥٨٩ هـ)، طبقات الشافعية للسبكي: ٦/ ٧ ـ ١٣، البداية والنهاية (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، غاية النهاية: ١/ ٣٩، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٤، طبقات المفسرين للداودي: ١/ ٣١ ـ ٣٢، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠٠ ـ ٣٠١.

(٢) ساق نحو هذا الخبر الموفق عبد اللطيف البغدادي ـ وهو ممن قرأ عليه ـ ونقله عنه الذهبي في السير ٢١/ ١٩٣، قال فيه: فالتمس العامة منه على المنبر يوم عاشوراء أن يلعن يزيد، فامتنع، فهموا بقتله مرات، فلم يُرَع ولازل، وسار إلى قزوين.

(٣) يفهم من سياق هذا الخبر أنه بقي في بغداد إلى ما قبل وفاته بقليل، والصحيح أنه رجع إلى بلده قزوين سنة (٥٨٠ هـ)، فأقام بها حتى وفاته هذه السنة. انظر «المختصر المحتاج إليه»: ١/ ١٧٥.

(٤) له ترجمة في الكامل لابن الأثير: ١٢/ ١٠٦ ـ ١٠٨، مرآة الزمان (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، سير =

وهو آخر الملوك السَّلْجوقية سوى صاحب الرُّوم، وهو الذي كان كسر عسكر الخليفة على هَمَذَان؛ وكان طغريل قد بعث إلى الخليفة يطلب السَّلْطنة، فأرسل إليه جيشاً مقدَّمه وزيره ابن يونس، فكسرهم طغريل، ومزَّقهم كل ممزَّق، وأُخذ ابنُ يونس وكان محلوق الرأس، فأحضروه بين يدي السُّلْطان، وألبسوه طُرْطوراً أحمر فيه جُلاجل[١]، وجعل يضحك عليه، وذلك سنة أربعٍ وثمانين وخمس مئة، فهابه الملوك.

ثم إنَّ خوارزم شاه سار إليه في عساكره، فالتقيا على الرَّي، فقتل، وقُطع رأسه، وبعث به إلى بغداد، فدخلوا به في جمادى الأولى على خشبةٍ، وكوساتُهُ مشقَّقة وسَنْجقه وراءه مكسور منكس ـ وكان من أحسن الناس صورةً ـ [وعُلِّق رأسه بباب النوبي][٢]، ثم رُدَّ إلى خزانة الرؤوس، فجاءت فأرة فأكلت أنفه وأذنيه، وبقي الرأس إلى سنة إحدى وست مئة، فوقع حريقٌ في خزانة الرؤوس، فاحترق الجميع.

وكان عِدَّة الملوك السلجوقية نيفاً وعشرين ملكاً، أولهم طُغْرُلْبَك الذي أعاد القائم إلى بغداد، وآخرهم هذا. ومُدَّة ملكهم مئة وستون سنة[٣].

= أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٦٧ ـ ٢٦٨، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧٢، الوافي بالوفيات: ١٦/ ٤٥٦ ـ ٤٥٧، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٤ ـ ١٣٦، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠١.

(١) الجلاجل: الجرس الصغير. «معجم متن اللغة»: ١/ ٥٥٩.

(٢) ما بين حاصرتين من مرآة الزمان: وهي زيادة ضرورية لفهم سياق الخبر.

(٣) انفردت نسخة (ب) عقب هذا الخبر بزيادة: «ذكر شيخنا عز الدين بن الأثير في «تاريخه» [١٢/ ١٠٧ ـ ١٠٨] في سنة تسع وثمانين وخمس مئة في الفصل المتضمن قتل السلطان طغرل، وملك خوارزم شاه الري، ووفاة أخيه سلطان شاه، قال: فلما دخلت سنة تسعين وخمس مئة قصد السلطان طغرل بلد الري، فأغار على من به من أصحاب خوارزم شاه، فقصده خوارزم شاه من نيسابور إلى جهة الري، وكانت عساكر طغرل متفرقة، فلم يقف ليجمعها، بل سار إليه فيمن معه، فقيل له: إن الذي تفعله ليس برأي، والمصلحة أن تجمع العساكر. فلم يقبل، وكان فيه شجاعة، بل تمم مسيره، فالتقى العسكران، فاحتاطوا به، =

٧ **وفيها** في جمادى الآخرة توفي بالقاهرة الشيخ الشَّاطبي[١]، العالم الزَّاهد، ناظم القصيدة في القراءات السَّبْع رحمه الله، ودُفِنَ بالقَرَافة بالقُرْب من التُّرْبة الفاضلية بساريةٍ[٢]، وقد زرتُ قبره. وشاطبة المنسوب هو إليها مدينةٌ بالمغرب شرق الأندلس.

أخبرني شيخنا أبو الحسن علي بن محمد[٣] رحمه الله، أن سبب انتقاله من بلاده إلى الدِّيار المِصْرية أنه أُريد على أن يتولَّى الخطابة بها، فاحتجَّ بأنه قد وجب عليه الحج، وأنه عازمٌ عليه، فتركها ولم يرجع إليها تورعاً مما كان

= وألقوه عن فرسه، وقتلوه في الرابع والعشرين من شهر ربيع الأول سنة تسعين وخمس مئة.
قلت: وهذا خوارزم شاه وهو علاء الدين تكش والد السلطان محمد».
قال إبراهيم عفا الله عنه: هذه الزيادة هي من أحد العلماء الذين قرؤوا المذيل، ضمنها الناسخ في المتن، والذي يقطع بذلك انفراد نسخة (ب) في إيرادها، ثم إن أبا شامة لم يذكر أنه سمع من ابن الأثير، ولم يذكره في شيوخه حين ترجم له في وفيات سنة (٦٣١ هـ)، بل إنه لم يقتبس من «كامله» أي خبر في كتابه هذا، وانظر ص ٢٠٧ من هذا الجزء.
ثم إن كاتبها تعقب أبا شامة في الحاشية رقم ٢ ص٢٠ من الجزء الثاني، معتمداً في تعقبه على شيخه ابن الأثير، مما يقطع أن هذه الزيادة ليست من أبي شامة.

(١) هو أبو القاسم وأبو محمد القاسم بن فِيْرُّه بن خلف بن أحمد الرعيني الشاطبي، وقال الذهبي في «السير» ٢١/ ٢٦٢: من كناه أبا القاسم كالسخاوي وغيره لم يجعل له اسماً سواها، والأكثرون على أنه أبو محمد القاسم.
وقد ولد سنة (٥٣٨ هـ)، ودخل مصر سنة (٥٧٢ هـ).
وله ترجمة في معجم الأدباء: ١٦/ ٢٩٣ ـ ٢٩٦، وإنباه الرواة: ٤/ ١٥٤ ـ ١٥٦، التكملة للمنذري: ١/ ٢٠٧ ـ ٢٠٨، وفيات الأعيان: ٤/ ٧١ ـ ٧٣، سير أعلام النبلاء: ٢١/ ٢٦١ ـ ٢٦٤، العبر للذهبي: ٤/ ٢٧٣ ـ ٢٧٤، معرفة القراء الكبار: ٣/ ١١١٠ ـ ١١١٥، الوافي بالوفيات: ٢٤/ ١٤٦ ـ ١٤٨، نكت الهميان: ٢٢٨ ـ ٢٢٩، طبقات الشافعية للسبكي: ٧/ ٢٧٠ ـ ٢٧٢، البداية والنهاية: (وفيات سنة ٥٩٠ هـ)، الديباج المذهب: ٢/ ١٤٩ ـ ١٥١، غاية النهاية: ٢/ ٢٠ ـ ٢٣، النجوم الزاهرة: ٦/ ١٣٦، حسن المحاضرة: ١/ ٤٩٦ ـ ٤٩٧، بغية الوعاة: ٢/ ٢٦٠، وطبقات المفسرين للداودي: ٢/ ٣٩ ـ ٤٢، نفح الطيب: ٢/ ٢٢ ـ ٢٥، شذرات الذهب: ٤/ ٣٠١ ـ ٣٠٣.

(٢) سارية، اسم التربة. انظر «إنباه الرواة»: ٤/ ١٥٦.

(٣) هو علم الدين السخاوي.

obeikandl.com

يلزمون به الخطباء من ذكرهم على المنابر بأوصافٍ لم يرها سائغة شرعاً. وصبر على فقرٍ شديد، وسمع بالإسْكندرية على الحافظ أبي طاهر السِّلَفي، ثم قدم القاهرة، فطلبه القاضي الفاضل للإقراء بمدرسته، فأجاب بعد شروط اشترطها عليه على ما كان فيه من الفقر. وقدم بيت المقدس زائراً قبل موته بثلاث سنين، فصام به شهر رمضان، واعتكف عند الصخرة. قال لي الشيخ أبو الحسن: سمعته وقد جاءه رجلٌ يودِّعه، والرجل عازمٌ على المسير إلى القدس، فقال ذَكَرَ اللهُ ذلك الموضع عنا بخير. وقال: ما أعلم موضعاً أقرب إلى السماء منه بعد مكة والمدينة. قال الشيخ: فَعَلِمْتُ أنه رُزِقَ ثَمَّ قبولاً. وقال: أقطع بأنه كان مكاشفاً، وأنه سأل الله تعالى كتمانَ حاله، ما كان أحدٌ يعلم أيَّ شيء هو.

قلتُ: وقد ذكرتُ طرفاً صالحاً من أخباره وأوصافه في أوّلِ شَرْحي الكبير[1] لقصيدته الكبرى، وأخبرني عنه جماعةٌ من أصحابه، رحمهم الله تعالى.

ثم دخلت سنة إحدى وتسعين [وخمس مئة][2]

ففيها قَدِمَ العزيزُ بنُ صلاح الدِّين إلى الشَّام مرَّةً ثانية، فنزل على الفَوَّار في شهر رمضان، ثم رحل منه إلى مِصْر لمّا سمع بقدوم العساكر مع عمه العادل وأخيه الأفضل، فرحل عائداً إلى مصر، وتبعاه إلى القاهرة، وخرج الفاضل فأصلح الحال، فدخل العادلُ مِصْرَ مع العزيز، ورجع الأفضل إلى الشَّام.

---

(١) شرح أبو شامة قصيدة الشاطبي «حرز الأماني» شرحين: شرحه الكبير وهو الذي يشير إليه هنا، ولم يتمه، وقد بلغ فيه باب الهمزتين من كلمة، وقد جاء في نحو مجلدة، ثم فكر في قصور الهمم، فشرع في اختصاره، وسماه «إبراز المعاني من حرز الأماني»، وهو المطبوع بمصر في مكتبة مصطفى البابي الحلبي سنة ١٣٩٨ هـ ـ ١٩٧٨ م بتحقيق إبراهيم عطوة عوض، ولم يورد فيه أبو شامة إلا خبراً موجزاً عن الشاطبي لا يعدو ذكر ولادته ووفاته، انظر المقدمة منه ص ٨.

(٢) ما بين حاصرتين زيادة من عندنا للإيضاح.